

صفات الله تعالى في الفلسفة الإسلامية

الدرس
16

أهداف الأنشطة

1. أن أتعرف صفات الله تعالى؛
2. أن أتبين أنواع صفات الله تعالى؛
3. أن أتمثل صفاته تعالى في وجداني وسلوكي.

تمهيد

موضوع الصفات الإلهية قضية مركزية في الدرس العقدي والفكر الفلسفي الإسلامي، والبحث في موضوعها وأنواعها من مباحثهما الأساسية؛ ذلك أن توحيد الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله توحيدا خالصا منزها عن المماثلة والند والقرين في الخلق والتقدير، والهداية والتكوين. ووصفه بما وصف به نفسه من صفات الكمال والجمال والجلال عدة المومن التقي، ومورده النقي.

فما صفات الله تعالى؟ وما موضوعها وأنواعها؟ وما غاية المسلم في التطلع إليها: معرفة وفهما وتمثلا؟

نص الانطلاق

يقول الإمام الغزالي: «... على العبد أن يعلم أن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد في ذاته وصفاته، لا مثل له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، ولا شريك له في ملكه، ولا حدوث في صفاته، ولا زوال ولا بداية لقدمه، ولا نهاية لبقائه، دائم الوجود، ولا آخر له، قيوم الموجودات، لا انقطاع له، لم يزل، ولا يزال موصوفا بصفات الجلال والجمال، لا نهاية لكبريائه، ولا غاية لعظمته وجلاله، ليس بجسم، ولا جسماني، ولا بروح ولا روحاني، ولا بجوهر محدود، ولا تحلُّه الجواهر، بل هو خالق الأشياء، أحد صمد، لم يلد ولم يولد،

ولم يكن له كفؤاً أحد، منزّه عن الحركة والانتقال، والجهة والمكان، وأنه تعالى قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، قربته من الخلق ليس كقرب الخلق بعضهم من بعض، بل هو قريب قرباً يليق بذاته تعالى. سئل الجنيد- قدس الله تعالى روحه- عن القرب فقال: قريب لا بالتزاق، وبعيد لا بافتراق، ولا كيفية لقربه ومعيته، كما أنه ليس كمثله شيء، كذلك لمعيته وقربه أحد، وأنه تعالى كان ولم يكن معه شيء، وهو الآن على ما هو

عليه». [مجموعة رسائل الامام الغزالي، ص 140-141]

الفهم

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النصين الصفات الواجبة في حق الله تعالى الدالة على عظمته وإحاطة علمه.

الشرح:

- **الجوهر:** الشيء القائم بنفسه ويقابله العرض.

- **حبل الوريد:** عرق في العنق.

- **كفؤاً:** مثيلاً ونظيراً.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: حدود العقل في إدراك صفات الله

دراسة القضايا العقديّة الكبرى في موضوع الألوهية لا تطمح إلى معرفة حقيقة ذاته سبحانه وكنهها على نحو ما هي عليه؛ لأن معرفة حقيقة الذات الإلهية أكبر من أن تحيط بها عقولنا القاصرة، ذلك أن طبيعة إدراكاتنا وقصور عقولنا لا تسمح لنا بولوج عالم الغيب والإحاطة به؛ يقول ابن أبي زيد القيرواني: «لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته» [الرسالة، ص 5] قال الشيخ زروق: «كنه الشيء: غايته، وقيل حقيقته، فعلى الأول يكون المعنى لا كنه لصفاته حتى يُبلغ؛ لأن غاية الشيء ما ينتهي له، وذلك لا يصح في وصفه تعالى ذاتاً ولا تعلقاً؛ أما ذاتاً فلأن التناهي من صفات الكم، ولا كمّ هناك. وأما تعلقاً فلأن التناهي يلزمه النقص والعجز، ولا نقص ولا عجز ولا تناهي. وأما على الثاني الذي هو أن الكنه بمعنى الحقيقة؛ لأن الصفة لها حقيقة لكن لا يبلغ الواصفون إلى تلك الحقيقة» [شرح زروق على

الرسالة 35/1، وقال العلامة ابن خلدون: «إن العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، لكنك لا تطمح أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال» **[المقدمة 1071/3]**، بل نتعرف على الذات العلية للخالق عز وجل من خلال صفاته وإبداعه وخلقها، ذلك أن المؤمن يكفيه هنا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **[الشورى 11]**. قال الإمام الرازي: «... فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات، فيكون المعنى أن شيئاً من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية» **[مفاتيح الغيب 582/27]**.

يقول ابن سينا: «فظهر لنا أن لكل مبدءاً واجب الوجود، غير داخل في جنس، أو واقع تحت حد أو برهان، وبريئ عن الكم والكيف والماهية والأين والمتى والحركة، لا ندله، ولا شريك له، ولا ضده، وأنه واحد من جميع الوجوه...» **[كتاب الشفاء- الإلهيات-، ص 401]**، يقول الإمام الغزالي: «فافهم أن في مدركات البصائر أيضاً تفاوتاً، فمنها ما تحيط العقول بكنهه حقيقته، ومنها ما تقصر العقول عنه. وما تقصر العقول عنه ينقسم إلى ما يتصور أن يحيط به بعض العقول، وإن قصر عنه أكثرها، وإلى ما لا يتصور أن يحيط العقل أصلاً بكنهه حقيقته، وذلك هو العظيم المطلق، الذي جاوز جميع حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه، وذلك هو الله تعالى». **[المقصد الأسنى، ص 104]**

فالبحت في الموجودات ينتهي إلى «كامل لا يمكن أن يكون شيء هو أكمل منه، ولا يمكن أن يكون شيء هو أصلاً في مثل مرتبة وجوده، ولا نظير له، ولا ضد، وإلى أول لا يمكن أن يكون قبله أول، وإلى متقدم لا يمكن أن يكون شيء أقدم منه، وإلى موجود لا يمكن أن يكون استفاد وجوده من شيء أصلاً، وأن ذلك الواحد هو الأول والمتقدم على الإطلاق وحده». **[إحصاء العلوم، ص 121]**

المسألة الثانية: أقسام صفات الله سبحانه وتعالى

الأصل في معرفة صفاته تعالى السمع بوصفه سبحانه بما وصف به نفسه، يقول الإمام الفارابي: «فإن الإنسان إنما سبيله أن تفيد الملل بالوحي ما شأنه أن لا يدركه بعقله، وما يخور عقله عنه، وإلا فلا معنى للوحي، ولا فائدة إذا كان إنما يفيد الإنسان ما كان يعلمه، وما يمكن إذا تأمله أن يدركه بعقله». **[إحصاء العلوم ص 132-133]**

وصفات كماله وجماله وجلاله لا تنتاهي، ولا تنحصر في عدد معين، وقد تعرض علماء الكلام والفلاسفة المسلمون لما «انتهت إلى إدراكه القوى البشرية، وإلا فصفت كماله تعالى ونعوت جلاله يفوت العد، ولا يحيط به الحد» **[هداية المريد لجوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، ص 93]** وقد قسم السادة الأشاعرة الصفات الواجبة في حق الله تعالى إلى: **صفات ثبوتية**؛ وهي نوعان: **صفات تدل على نفس**

الذات العلية دون معنى زائد عليها -صفة نفسية- وسيأتي الحديث عنها في الدرس الآتي . **وصفات** تدل على معنى زائد على الذات العلية ، -صفات المعاني ، والصفات المعنوية- فالباري سبحانه يتصف بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر... ، يقول الإمام الشهرستاني: «اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوفاً واحداً» [الملل والنحل 1/91]. **وصفات سلبية؛** وهي: التي سلبت ونفت عن الله تعالى أمراً لا يليق به سبحانه، وهي خمس صفات:

- الوجدانية؛ وهي ذروة العقيدة، ومهمة جميع الأنبياء في دعوتهم إلى توحيد الله تعالى عقيدة وعبادة، ويتحدد مدلول الوجدانية في أنه سبحانه وتعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فهو سبحانه «ليس بجسم ولا جسماني، ولا بروح ولا روحاني، ولا بجوهر محدود، ولا تحله الجواهر» [مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ص 140] يقول الكندي: «... فالواحد الحق لا ذو هيولى، ولا ذو صورة، ولا ذو كمية، ولا ذو كيفية، ولا ذو إضافة، ولا موصوف بشيء من باقي المعقولات، ولا ذو جنس، ولا ذو فصل، ولا ذو شخص، ولا ذو خاصية، ولا عرض عام، ولا متحرك، ولا موصوف بشيء مما نفى أن يكون واحداً بالحقيقة... والواحد الحق هو الواحد بالذات الذي لا يتكرر ألبة بجهة من الجهات، ولا ينقسم بنوع من الأنواع، لا من جهة ذاته، ولا من جهة غيره...» [رسائل الكندي، ص 160-161 بتصرف]

- القدم؛ وهو: عدم وجود أول له سبحانه وتعالى؛ أي سلب العدم السابق على الوجود. والبقاء وهو عدم وجود نهاية له سبحانه وتعالى؛ أي سلب العدم اللاحق للوجود، قال تعالى: ﴿فَوَاقِلَ الْآخِرِ وَالْأَوَّلِ وَالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالْبَاقِيَةِ﴾ [الحديد3] فهو سبحانه «الأول الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة، والآخر الدائم الذي ليس له نهاية منقضية» [المحرر الوجيز لابن عطية 257/5]. يقول الإمام الباقلاني: «إذا ثبت أن صانع الموجودات ومحدثها لا يجوز أن يكون يشبهها، فيجب أن تعلم أن محدث العالم القديم أزلي لا أول لوجوده، ولا آخر لدوامه. والدليل على صحة ذلك: أنه لو لم يكن قديماً كما ذكرنا لكان محدثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث أحدثه؛ لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة. ولو كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث إلى محدث آخر إلى ما لانهاية له ولا غاية، ولما بطل ذلك صح كونه أزلياً». [الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص 32]

- المخالفة للحوادث؛ فهو سبحانه لا يماثله شيء من المخلوقات مطلقاً، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ يقول الإمام الغزالي: «لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود، ليس كمثل شيء ولا هو مثل شيء». [قواعد العقائد، ص 174]

- **القيام بالنفس-الغنى المطلق**: أي أنه سبحانه وتعالى غيرُ مفتقرٍ إلى مُوجدٍ يوجده، ولا إلى محل يقوم به، ولا إلى جهة يكون فيها، ولا إلى فاعل ومخصص بالوجود، فهو سبحانه «منزه عن الحركة والانتقال والجهة والمكان». [مجموعة رسائل الامام الغزالي، ص 140]

التقويم

1. أبين حدود العقل في معرفة صفات الله تعالى؛
2. أذكر أنواع صفات الله الواجبة، وأستدل عليها من النقل والعقل؛
3. أبين الفرق بين الصفات السلبية وصفات المعاني.

الاستثمار

قال الإمام الأشعري: «وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل لم يزل بها، وعلماً لم يزل به عالماً، وقدرة لم يزل بها قادراً، وكلاماً لم يزل به متكلماً، وإرادة لم يزل بها مريداً، وسمعا وبصرا لم يزل به سميعاً بصيراً. وعلى أن شيئاً من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثاً؛ إذ لو كان شيئاً منها محدثاً لكان تعالى قبل حدوثها موصوفاً بضدها، ولو كان ذلك لخرج عن الإلهية، وصار إلى حكم المحدثين الذين يلحقهم النقص، ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله عز وجل، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال؛ إذ كان لا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال».

[رسالة إلى أهل الثغر، ص 214-215]

أتأمل النص جيداً، وأبين دليل الإجماع على ثبوت الصفات المذكورة فيه.

الإعداد القبلي

أبحث عن معنى صفة «الوجود»، والأدلة العقلية والنقلية الدالة على وجود الله تعالى.